مجلة *جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية،* م١٧ ع١، ص ص: ٤٣١-٤٦٨ (٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ)

السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام
دراسة لغوية تحليلية نفسية

على محمد نور المدني

أستاذ مشارك

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية الآداب – جامعة البحرين – مملكة البحرين

المستخلص. ينطلق هذا البحث من ندرة الدراسات الرابطة بين علم النفس وقواعد العربية وأساليبها. ويتخذ من أسلوب الاستفهام نموذجا يكشف عن الجانب النفسي الكامن في هذا الأسلوب لدى المتكلم والمتلقي على السواء، مستفيدا في تحليل دلالات الاستفهام من بعض نظريات السلوكيين من علماء النفس، وبخاصة مذهبهم في الربط بين المنبه المثير والاستجابة له، ولكن مع مراعاة شعور كل من المتكلم والمتلقي وحالاتهما النفسية. وذلك كله يظهر جليا من خلال إدراك العوامل التي يتوقف عليها فهم المعنى وهي: تحليل السياق، ومعرفة شخصية كل من المتكلم والمخاطب، والظروف المحيطة بالخطاب، وتأمل وظيفته ، وفهم العمليات الذهنية الكامنة في استخدام اللغة.

ويتضح من الدراسة أن الاستفهام من الأساليب التي يتجلى فيها الجانب النفسي بقوة، وذلك لكثرة دلالاته المجازية. ومعظم هذه الدلالات يحمل شحنة نفسية من الانفعالات والعواطف.

ومن المعاني المجازية الانفعالية التي تم الوقوف عليها في هذا البحث: الإنكار، والتمني، والتقرير، والتعجب والتعظيم، والتقريع، والتهديد، والتحسر والتوجع وغيرها من المقاصد التي تحمل الانفعالات الإنسانية الست الأساسية وهي: الدهشة، والخوف، والاشمئزاز، والغضب، والسعادة، والحزن.

هذه المعاني وغيرها من السلوك الانفعالي لا يمكن الكشف عنها وتفسيرها من غير الاعتماد على علم اللغة النفسي، وعليه جرى البحث، لتحقيق الفوائد المرجوة، وهي بيان السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام.

مقدمة

إن تفسير القاعدة النحوية والصرفية والبلاغية بمنأى عن الجانب النفسي يجني على فهم كثير من قواعد اللغة العربية فهمًا دقيقًا؛ ويحول دون إدراك ما يتوارى وراء القاعدة النحوية، من دلالات لا تلاحظ في ظاهر اللفظ، ولا يفسرها إلا السياق المتمثل في واقع الحال من: مناسبة الكلام، أو حالة كل من المتكلم والسامع، أو القرينة التي تفسر معنى الكلام المتداخل بين المقاصد النحوية والمفاهيم البلاغية. وبين هذه وتلك تكمن الجوانب النفسية التي تفسر سلوك المتكلم من سكون وغضب، وتوتر واسترخاء ، وخوف وأمن ، وألم وراحة ، وتأن واستعجال ، وغيرها من الاستجابات الانفعالية للمثيرات المختلفة التي تحمله على التفكير في طبيعة الجملة وكلماتها، وكيفية تركيبها، وكيفية إلقائها أو كتابتها. وقد تصرفه عن التفكير فى ذلك كله فيظهر الكلام مضطربا.

ولا ريب أن تقسيم العلوم اللغوية في التراث العربي إلى نحو وصرف وبلاغة- مع ما تبعه بعد ذلك من الفصل بينها عند بعض المتأخرين- تقسيم طارئ وليس أصليًا؛ ولذلك فقد فطَّننا عبدالقاهر الجرجانى إلى أهمية التلاحم بين هذه الفروع اللغوية، فلم يفصل في دراسته بين النحو والبلاغة – بل ذهب إلى

أن "النظم هو توخي معاني النحو وهو معدن البلاغة"(١) فكان ثمار ذلك جهده العظيم الذي أخرجه في كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة. ولكن جاء السكاكي بعده بكتابه مفتاح العلوم، ليفتح فيه باب الفصل بين العلوم اللغوية على مصراعيه، ففصل بين النحو و هذه العلوم.

وهذا الفصل يتمسك به كثير من الدارسين حتى اليوم، ولا بأس به في تأصيل قواعد هذه العلوم اللغوية، ولكن لا يعول عليه في تحليل اللغة ، وتتبع ما وراء القاعدة المجردة أو ما وراء المعنى المجرد، أو ما وراءهما كليهما مجتمعين، فاللغة ليست شكلاً مجردًا من الأحاسيس والمشاعر، ولا قوالب صرفة يصب فيها المتكلم كلمات مركبة وفقًا للقواعد النحوية والصرفية وحسب. ولو كان الأمر كذلك لما أجهد اللغويون العرب والغربيون أنفسهم في دراسة السياق بنوعيه: المقالي والحالي (٢)؛ ذلك أن السياق المقالي يكشف عن علاقة الكلمة بالكلمات الأخرى في الجملة الواحدة، والسياق الحالي يربط المعنى بالمواقف الكلامية المختلفة، ويكشف عن الحالة النفسية للمتكلم في مختلف أوضاعه. ومن هذا المنطلق نقل بعض الدارسين أن تحديد المعنى يتوقف على العناصر التالية:

---

(١) *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت.) ص ٥٢٥.

(٢) انظر للتفصيل عن السياق: مجموعة المقالات التي حررها كل من: أيور و ديلوزيو (Peter Auer and Aldo Diluzio) في كتاب:
The Contextualization of Language, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, 1992.& Gross, Steven, Essays on Linguistic Context-Sensitivity and Its philosophical Significance, Routledge, New York & London, 2001 وانظر: رسالة دكتوراه بعنوان *دلالة السياق*، **ردة الله الطلحي**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ ونظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية *دلالية*، **عبد النعيم خليل**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية، ٢٠٠٧م. وانظر: *مفتاح العلوم*، **للسكاكي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٦٨ وما بعدها. وانظر: الفصل الخاص بالسياق في الفكر اللغوي عند العرب في كتاب: *دراسات في نظريات النحو العربي وتطبيقاتها*، **صاحب أبو جناح**، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، ١٩٩٨م، ص ص: ٢٠٧-٢٢٣. وانظر: *مدخل إلى علم اللغة النصي*، **فولفجانج هاينه من، وديتر فهفيجر**، ترجمة فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩م، ص ٥٧.

- " تحليل السياق اللغوي صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ومعجميًا.
- بيان شخصية المتكلم والمخاطب، والظروف المحيطة بالكلام.
- بيان الوظيفة الكلامية.
- بيان الأثر الذي يتركه الكلام" (٣)
- ويضيف آخرون إلى هذه العناصرالأربعة عنصرا خامسا مساعدا هو معرفة العمليات الذهنية الكامنة وراء الاستخدام المعتاد للغة (٤).

ويقارب "السياق الحالي" – المقترن بالعناصر السابقة – مصطلح آخر هو "السياق الاتصالي"، نقله بعض المعنيين بعلم اللغة النفسي (٥). وهذا المصطلح يشبه كثيرًا في معناه مصطلح "السياق الحالي"، ولكنه أوثق صلة بالدرس اللغوي النفسي من المصطلح الآخر. ويقصد به تحقيق الاتصال والفهم بين المتكلم والمخاطب؛ ذلك أنه ليس كل ما يقوله المتكلم يصل إلى السامع بمقاصده الدقيقة؛ لأن الفهم معقود على حالة المتلقي من انتباه وغفلة واستيعاب...الخ؛ ولذلك نص سامي رزق على أنه" لابد من تفسير أي عملية اتصال لغوي في ضوء العوامل النفسية التي تأخذ في الاعتبار العناصر المكونة لموقف الاتصال اللغوي (semantic representation) أكثر من تفسيرها للتركيب النحوي للرسالة في حد ذاته أو بطريقة الأداء" (٦). وهذا صحيح، ولكن لا يمكن وصول الرسالة إلى المخاطب تامة إذا لم يكن تركيب الجملة سليما نحويا، وأما طريقة الأداء فهي

---

(٣) *أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية*، **محمد الشاوش**، جامعة منوبة والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م، ص٧٠.

(٤) **Carrol, D.**, *Psychology of Language, Wadworth*, Inc., 1986, p. 3. & Key, M., (Editor), The Relationship of Verbal and Nonverbal Communication, Mouton Publishers and The Hague, Paris & New York, 1980.

(٥) انظر فصلا بعنوان: The Process of Communication في كتاب:
Gleason, H., *An Introduction to Descriptive Linguistics*, Holt, Rinehart & Winston, London–New York, 1975, pp: 373-390 وانظر: *مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي*، **نازك إبراهيم عبدالفتاح**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٣٠. وقد ذكرت المؤلفة ص١٣١ وما بعدها مراحل فهم اللغة غير المباشرة.

(٦) آراء الطلبة والطالبات حول الاتصال اللغوي داخل مجتمع جامعة قطر، مركز *البحوث التربوية*، جامعة قطر، الدوحة، ١٩٨٩م، ص ٢٥.

جزء من العوامل النفسية في فهم اللغة وتفسيرها. وكثيرا ما يقصر فهم المتلقي عن حقيقة الرسالة بسبب أن ظاهر تركيب الجملة قد تكون له دلالة معينة، لكن حقيقته قد تحمل دلالة أخرى غير الظاهرة، كما يتبين من نحو قولك لمخاطبك: هل يمكنك إعطائي الكتاب؟ فهذا الأسلوب في ظاهره الحرفي سؤال دال على طلب معرفة قدرة المخاطب على القيام بإعطاء السائل الكتاب، ولكن حقيقة التركيب غير مقتصرة على مجرد السؤال، وإنما هي صيغة مهذبة للطلب، وهي الصيغة التي يسميها البلاغيون: الاستفهام الطلبي. وهذا يعني أن الاستفهام خرج معناه من مجرد السؤال إلى الطلب. والفيصل في فهم هذا الخروج هو السياق الاتصالي.

ولكن السياق الاتصالي لا يعول عليه في كشف المعنى كشفاً دقيقًا، إذا اختلت عملية الإدراك لدى السامع؛ لأن "الإدراك هو الوسيلة التي يتصل بها الإنسان مع بيئته" (٧) والبيئة التي تعنينا في هذا المقام هي البيئة اللغوية بمكوناتها الأربعة: كلام منطوق، ومرسِل ومستقبِل، وسياق، ولكي يتم هذا الاتصال يجب أن تتوافر العوامل المنظمة للإدراك (٨)، ويمكن أن نعرضها من خلال الاستفهام التالي الذي يطرحه المعلم المراقب في الامتحان على أحد الطلبة: لم تنظر في ورقة زميلك؟ فيمكن تحليل هذا الموقف تحليلاً لغوياً نفسياً من خلال العوامل الآتية التي لا يتم الإدراك إلا بها:

١. وجود قوة مناسبة للمنبه المثير:

وهي ارتكاب الطالب مخالفة سلوكية كبيرة، وهي قوة كافية لاستثارة المعلم لطرح هذا الاستفهام الانفعالي. كما أن الطالب أدرك حقيقة الوضع الذي وقع فيه، مما أثار انفعالاته؛ لخشيته من حرمانه من الامتحان، وذلك منبه قوي، يحمله على تلقي الاستفهام على حقيقته الانفعالية.

---

(٧) *علم النفس التربوي*، **أحمد زكي صالح**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت.)، ص٤٦٧.

(٨) انظر هذه العوامل في: *أصول علم النفسي العام*، **عبدالحميد الهاشمي**، دار الشروق، جدة، ٢٠٠٢م، ص٢٠٠.

٢. سلامة الحاسة المستقبلة:

وهي السمع هنا، أي أن الطالب سمع السؤال بوضوح، وأحس بغضب الأستاذ من طريقة إلقاء السؤال عليه؟

٣. وجود خبرات وتجارب سابقة تكشف للطالب نتيجة هذا الموقف:

إذ علم بحالات غش من قبل أدت إلى حرمان بعض الطلاب من الاستمرار في الامتحان، أو رسوبهم كليًا.

٤. عوامل موضوعية تتعلق بالشيء المدرك:

وهي خطورة الموقف.

٥. عوامل شخصية تتصل بالإنسان المدرك ذاته: (٩)

وهي ما يعتريه من حرج وأسف لانكشاف أمر مذموم.

كل هذه العوامل تتفاعل مجتمعة لتؤثر تأثيرًا بالغًا في إدراك حقيقة السؤال. وأنه ليس مجرد استفهام لطلب حصول العلم بشيء لا يعلمه صاحب السؤال، بل هو تقريع وتحذير على نحو ما سيأتي تفصيله.

والوقوف على الجانب النفسي في اللغة لا يعني فهم المعنى بعيداً عن القواعد النحوية والصرفية والمعجمية والبلاغية، بل هو جزء من العناصر الخمسة السالفة الذكر، التي يتوقف عليها فهم المعنى؛ ولكن هذا الجانب النفسي عامل بالغ الأهمية في بيان السياق الحالي والاتصالي المرتبط بشخصية كل من المتكلم والمخاطب، والظروف المحيطة بالكلام من طرف، وبيان الأثر الناتج عن تحقيق التواصل من طرف آخر. بل هو من ألطف العوامل في بيان السياق؛ فالقواعد النحوية والصرفية والبلاغية والمعجمية ثابتة معلومة سلفًا، على اختلاف في مستوى الثبات بينها. وأما السلوك النفسي – وما يتبعه من مشاعر

---

(٩) انظر هذه العوامل في المرجع السابق، ص٢٠٠.

وأحاسيس وانفعالات – فهو غير ثابت لدى كل من المتكلم والمخاطب في جميع الأحوال، وإنما هو متغير تبعًا للمواقف المختلفة التي يمر بها كل منهما.

ولا ريب أن الربط بين السلوك النفسي وبين الأساليب العربية جهد يخدم علم اللغة النفسي التطبيقي الذي سبق أن ذهبنا – فى بحث سابق – إلى ندرة الدراسات العربية فيه (١٠).

وإن كان علم اللغة النفسي علما حديثا في صورته الحاضرة فإن موضوعاته لم تغب عن اهتمام قدماء النحويين، فهذا سيبويه يذهب إلى أن " هل ليست بمنزلة ألف الاستفهام، لأنك إذا قلت: هل تضرب زيدًا؟ فلا يكون أن تدّعي أن الضرب واقع... ومما يدلك على ذلك أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة (هل) أنك تقول للرجل: أطَرَبًا ! وأنت تعلم أنه قد طرب، لتوبخه وتقرره"(١١).

وفي موضع آخر يقول: " أتميميًا مرة وقيسيًا أخرى؟ كأنك قلت: أتتحول تميميًا مرة وقيسيًا أخرى؟ فأنت في هذه الحال تعمل على تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأل مسترشدًا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه، ولكنه وبخه لذلك"(١٢).

وفي هذين النصين ذكر صريح لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى مجازي، والمعنى المجازي في الموضعين يحمل دلالات نفسية واضحة على النحو الذي سيتبين لاحقًا.

وتناول المبرد الشاهد السابق معلقًا عليه بقوله: " إنما رأى نفسه في حال طرب مع سنه فوبخها"(١٣).

---

(١٠) انظر البدل في الجملة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، *مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة*، العدد٨٦، نوفمبر ١٩٩٩م، ص ٢٠٦.

(١١) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م،ج٣، ص ص: ١٧٥- ١٧٦.

(١٢) نفسه ج١، ص١٧٢

(١٣) *المقتضب*، **محمد بن يزيد المبرد**، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ج٣، ص٢٦٤

ووقف الفراء على خروج الاستفهام عن معناه الأصلي في تفسير قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا) (١٤) فنص على أن السؤال جاء " على وجه التعجب والتوبيخ، لا على الاستفهام المحض" (١٥).

كل هذه النصوص وغيرها فيها تصريح بخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخر مجازية فصّل فيها النحاة والبلاغيون كما سيأتي بيانه، ومعظم هذه المعاني ينصرف إلى دلالات نفسية، وهي تدل على إدراك الأقدمين من النحاة والبلاغيين الآثار النفسية في اللغة، قبل تأسيس علم اللغة النفسي الحديث بقرون.

ورغم كثرة ورود هذه المعاني في أسلوب الاستفهام لم أجد – في حدود علمي – من خصها بالدراسة والتحليل، إلا ما ألفيته من إشارات إليها لدى حسني عبدالجليل يوسف في كتابه الموسوم بـ: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، ومنها وقوفه على الاستفهام التعجبي بـ (ما) في قول أبي ذؤيب الهذلي:

ما بالُ عَينِي لاتَجِفُّ دُمُوعُها كَثيرًا تَشكّيها قليلاً هُجوعُها (١٦)

قال: " والاستفهام يتضمن تعجبا من حال عينيه التي لا تجف دموعها، وقد جاء التقسيم والتصريع تمثيلا صوتيا للبكاء وللحركة النفسية المعبرة عن الحزن" (١٧).

وفي تعليقه على أبيات عدي بن زيد العبادي:

ماذا ترجّي النفوسُ مِن طَلَبِ الـ خَيرِ، وحُبُّ الحَياةِ كاذِبُها
تَظُنّ أنْ لن يُصيبَها عَنَتُ الـ دهْرِ، ورَيبُ المَنُونِ كارِبُها
ما بَعدَ صَنعاء كان يَعْمُرُها سادادتُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَواهِبُها (١٨)

---

(١٤) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(١٥) *معاني القرآن*، **يحيى بن زياد الفراء**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمدعلي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٣، ج٢، ص٤١١.

(١٦) *البيت في شرح أشعار الهذليين*، **للحسن بن الحسين السكري**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة القاهرة، (د.ت.) ج١، ص٢٢٥.

(١٧) *أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي*، **حسني عبدالجليل يوسف**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٧٠.

قال: " الاستفهام يتضمن إنكارا لترجي النفوس شيئا من الحياة، لأن حب الحياة كاذبها..." ثم قال: " أما الاستفهام في البيت الثالث فقد تضمن نفيا لأن يكون هناك مجد بعد صنعاء التي كان يعمرها السادات، أو يكون هناك حضارة باقية. والاستفهام يكشف عن نوع من اليأس والحصر النفسي الذي يعانيه الشاعر بخاصة، والجاهليون بعامة، ذلك اليأس والحصر المرتبط بانعدام رؤية دينية تربط أحداث الوجود بقوة علوية مدبرة حكيمة عادلة، وهو حصر يترتب عليه نوع من اللامبالاة" (١٩).

وأجتزئ بمثال أخير من تحليله بيت عمرو بن قميئة:

رَمَتني بَناتُ الدّهْرِ مِن حَيثُ لا أرَى فَكيفَ بمن يُرْمَى وليس بِرامِ (٢٠)

قال:" والاستفهام يتضمن نوعا من التحسر والإشفاق الناتجين عن شعور بالعجز في مواجهة الدهر، ويرتبط ذلك بما تقدم الاستفهام: (رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى)، كما يرتبط بالحال التي جاءت بعده :(وليس بِرامِ). والشاعر يصور حال الانسان محاصرا عاجزا عن المقاومة، في مواجهة مصائب الدهر، وهي مواجهة خاسرة؛ لأن الإنسان دائما في موضع المفعول وليس الفاعل، وهنا تتجسد مأساته" (٢١).

ويظهر في الاقتباسات السابقة أنواع مختلفة من السلوك النفسي في سياقات استفهامية متعددة: كالبكاء، والحركة النفسية المعبرة عن الحزن، والرجاء، واليأس، والحصر النفسي، واللامبالاة، والتحسر، والإشفاق، والشعور بالعجز.

---

(١٨) **ديوان عدي بن زيد العبادي**، تحقيق محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٩٥م، ص ص: ٤٥-٤٦.

(١٩) *المرجع السابق*، ص ص: ١٨٠-١٨١.

(٢٠) **ديوان عمرو بن قميئة**، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٤٥.

(٢١) *أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي*، ص ١٩٧.

لكن هذه القضايا النفسية ليست هاجس المؤلف حسني عبد الجليل يوسف، وإنما يعرض لها من خلال تحليله أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، ولا تشغله كثيرا، وإن كان الجانب النفسي في أسلوب الاستفهام في الشعر الجاهلي جديرا بأن يفرد بدراسة خاصة؛ لأن ميدانه واسع ومجاله خصب للدراسة التطبيقية في هذا الباب.

وقد خصص قيس إسماعيل الأوسي للاستفهام فصلا مطولا في كتابه أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين (٢٢) – ص ص: ٣٠٥-٤٦٠–، ولكنه لم يعن بالجانب الانفعالي في الاستفهام إلا بإشارات عارضة، لم يقف فيها على تحليل المظاهر النفسية ولم يتتبعها؛ لأن ذلك لم يكن هدفه.

وهذه الدراسة محاولة – سبقتها بعض المحاولات من قبل الباحث– (٢٣) لتفسير بعض الجوانب النفسية الكامنة في بعض أساليب العربية وقواعدها النحوية؛ وذلك للكشف عما وراء القاعدة المجردة من مقاصد ودلالات.

وسنقف – بوجه خاص – على نوع واحد من الأساليب الإنشائية، تم انتقاؤه عن قصد؛ لأن الجانب النفسي فيه أظهر؛ بسبب ما يصحبه من السلوك الانفعالي في كثير من الأحيان، والخروج فيه على القاعدة النحوية – إلى مقاصد أخرى – أكثر. هذا النوع هو أسلوب الاستفهام. وستقتصر الدراسة على أمثلة منه، انتقائية تهدف إلى الكشف عن السلوك النفسي المصاحب له، مقتفية منهج السلوكيين من علماء النفس وعلماء اللغة في التفسير والتحليل، غير

---

(٢٢) طبعته وزارة التعليم العالي ببغداد، ١٩٨٨م، وقد انتفعت به كثيرا في المراجعة النهائية للبحث بتوجيه من أحد المحكمين الكرام.

(٢٣) البدل في الجملة العربية دراسة في ضوء علم اللغة النفسي الحديث، وانظر: الجانب النفسي في حذف عامل المفعول به، **علي محمد نور المدني**، *مجلة الدراسات اللغوية*، المجلد **السابع**، العدد الثالث، أغسطس- أكتوبر٢٠٠٥م، ص ص: ١٤٣- ١٦١.

قاصدة التفصيل في باب الاستفهام، على نحو ما صنعه النحاة والبلاغيون، فذلك جهد قد أسهب فيه علماء العربية قدماؤهم ومحدثوهم (٢٤).

والاستفهام هو " طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن من تصور أو تصديق موجب أو منفي" (٢٥). ويرى ابن هشام أن حقيقة الاستفهام هي "طلب الفهم" (٢٦) وذهب محمد أبو موسى إلى أنه "طلب حصول صورة المراد فهمه في النفس، وإقامة هيئته في العقل" (٢٧). "والفهم صورة ذهنية، تتعلق بشخص ما أو شيء ما، أو بنسبة، أو بحكم، من الأحكام على جهة اليقين أو الظن" (٢٨). وكل التعريفات السابقة تدور حول طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا، وهذا الطلب إنما هو – في الأصل – استجابة لمثير يحفز السائل إلى معرفة سببه فيطلبه بالسؤال. ويكون أسلوب الاستفهام بهذا المفهوم من ألصق الأساليب بالدراسة اللغوية النفسية التطبيقية؛ ذلك لأنه "لون من ألوان التعبير، ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس، ويبث أخفى الخواطر والهواجس باعثًا في نفس المتلقي شتى

---

(٢٤) من القدماء: **السكاكي** في: *مفتاح العلوم*، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ص: ٣٠٢- ٣٢٣ ، **وابن الناظم** في: *المصباح في المعاني والبيان والبديع*، تحقيق: حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٥٨ ، **والتفتازاني** في: *مختصره على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني*، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ص٢١.
ومن المحدثين: **عبدالسلام هارون** في: *الأساليب الإنشائية في النحو العربي*، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص:٢٠-٢١، **وصباح عبيد دراز** في: *الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم*، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٦م، **ومحمد أبو موسى** في: *دلالات التركيب*، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص: ١٩٢-٢٨٦، **وعبدالعزيز عتيق** في: *علم المعاني*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص ص: ٧٤-١٢٩، **وسمير ستيتيه** في: *الشرط والاستفهام في الأساليب العربية*، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ١٩٩٥م، ص ص: ٩٨-١٨١، **وخليل عمايرة** في كتابه: *في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي*، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٧م، ص ص: ١٠٥-١٥٣.

(٢٥) *المصباح في المعاني والبيان والبديع*، **لابن الناظم**، ص ٨٣.

(٢٦) *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، **جمال الدين بن هشام**، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م، ج١، ص٥.

(٢٧) *دلالات التراكيب*، ص٢١٣.

(٢٨) راجع موقع الشبكة: www.awu-dam.org/book/index-study.htm.
وقد نقله الموقع من كتاب: *جمالية الخبر والإنشاء*، دراسة بلاغية جمالية نقدية، **حسين جمعة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

الإيحاءات المتوهجة المتداخلة، فتحس نبض القلوب في نبض الكلمات، وحرارة الانفعالات في التعبيرات... وهو أسلوب لا يعتمد المنهج العقلي المجرد، بل يغلب عليه إثارة العواطف وشحن الوجدان، فهو أسلوب وجداني بالدرجة الأولى(٢٩) ولذلك ذهب على بن محمد الجرجانى فى تعريف الاستفهام إلى أنه "استعلام ما في ضمير المخاطب" (٣٠)، لأن المطلوب من المخاطب بالسؤال إظهار الخبايا التى فى نفسه، مما يجهله السائل، أو مما لا يعرفه معرفة دقيقة.

وإذا كان الاستفهام على حقيقته الأصلية، لزم المتلقي أن يسترجع ما في ذاكرته من المعلومات المخزونة من خلال العمليات الذهنية المعروفة بالتذكر لدى علماء النفس (٣١)، ويتفاوت الجهد الذي يبذله المتلقي بحسب طبيعة السؤال، فإن كان السؤال سهلا لم يكلفه جهد في الاسترجاع، وإن كان صعبا معقدا لقي عناء وعنتا في استرجاع المخزون في الدماغ؛ للإجابة عنه (٣٢)، مما ينتج عنه انفعال القلق والتوتر والخوف لديه، وبخاصة إذا كان مهتما بالإجابة، ويخشى الفشل في تحقيقها وهذا واضح تماما لدى الطلاب في المدارس والجامعات أثناء تقديم الامتحانات.

وإذا كان الاستفهام طلب حصول تصور في الذهن لشيء يجهله السائل، وإذا كان أسلوبه يثير العواطف ويشحن الوجدان، فهذا يعني أن المستفسر يكون متحفزا لتلقي الإجابة حريصا عليها، بل إن النبرة ترتفع ويُضغط على بعض

---

(٢٩) *الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم* ، ص١٠٧.

(٣٠) *التعريفات* **لعلي بن محمد الجرحاني**، ضبطه محمد عبدالحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩١م، ص٣٥.

(٣١) للتفصيل في عمليات التذكر والاسترجاع انظر: Clark, Herbert & Clark, Eve, Psychology and Language an Introduction to Psycholinguistics, Harcourt Brace Govanovich, Inc., New York, 1977, pp: 133-173، *سيكولوجية التعلم وأنماط التعليم*، **ممدوح الكناني وأحمد الكندري**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣٢) نفسه pp: 114-116 (Clark & Clark pp: 114-116) والأسئلة السهلة عندهما هي الأسئلة اليومية المعتادة، وأما المعقدة فهي الأسئلة التي تحتاج إلى خلفية معرفية علمية، كما في أسئلة الرياضيات أو الجغرافيا مثلا.

الألفاظ في السؤال، وهذا مؤشر واضح للجانب الانفعالي لدى السائل (٣٣)، فضلا عن أن النبر والتنغيم قد يكونان وسيلتين مهمتين للتفرقة بين الجملتين الخبرية والاستفهامية إذا كانت علامة الاستفهام مقدرة، فمثلا قولنا: (محمد فاز) يستفهم به عن فوز محمد بنبرة الاستفهام المعروفة نطقا (٣٤)، وقد يكون إخبارا عن فوزه. وطريقة النبر هي التي تقطع في دلالة الجملة؛ ولذلك تثبت علامة السؤال في اللغة المكتوبة تعبيرا عن هذا الانفعال، وتعبيرا عن النبرة الخاصة التي تظهر في النطق، فإذا شعر الكاتب بزيادة انفعال لدى المتكلم اتبع علامة السؤال علامة التعجب أو علامة التأثر كما يسميها بعض الدارسين (٣٥). وفي الانفعال الشديد تضعّف علامة التعجب إلى علامتين أو ثلاث أحيانا.

والحق أن أثر النبر في الفصل بين نوعي الجملة (الاستفهامية والخبرية) ليس شأنا خاصا بالعربية، وإنما هو كذلك في اللغة الإنجليزية. ويدل هذا على أن النبر قد يقوم بوظيفة نحوية، خلافا لما ذهب إليه بولينجر (Bolinger) من نفي الوظيفة التركيبية للنبر في الجملة (٣٦). ولذلك أحدث بعض اللغويين مصطلح (نبرة الاستفهام)، قاصدا الأثر النحوي الذي يحدثه النبر، يقول لايدل: يبدو أن هناك صوتين من الأصوات اللغوية الإضافية، يقومان بوظائف نحوية هما: النبرة الاستفهامية والنبرة التقابلية (٣٧). والمصطلح الأخير يختص بالجملة،

---

(٣٣) www.wikipedia.org/qusetion .

(٣٤) وهذا النوع من الاستفهام يطلق عليه بعض الدارسين "الاستفهام التنغيمي"، *اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بحث في النظرية*، **محمد العبد**، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٦٦.

(٣٥) *الكلمة العربية كتابتها ونطقها*، **السيد عبدالغفار**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١٤.

(٣٦) لم أجد كتاب بولينجر وإنما نقلت رأيه من لايدل انظر:
Lyddell, Scott, *American Sing Language*, Mouton Publishers - The Hague, Paris- New York, 1980, p. 11.

(٣٧) نفسه، ص ١١.

أي النبر في الجملة، وليس في الكلمة المفردة (٣٨) وأما الأول فهو لا يقع أصلا إلا في الجملة؛ لأن الاستفهام أسلوب فهو جملة، وليس مفردا.

ويتفاوت الأثر الانفعالي الذي يحدثه السؤال حدة وخفة بحسب السياق والموقف الكلامي الذي يرد فيه السؤال، وبحسب طبيعة السؤال نفسه، وكل ذلك يدخل تحت ما يطلق عليه علماء النفس بالمثير (٣٩) ولنتأمل ما يأتي:

إذا شم أحد أفراد الأسرة رائحة دخان في المنزل، فإن هذه الرائحة تكون مثيراً يدفعه إلى سلوك، وقد يكون أسرع سلوك استجابة – وهو مقدم على البحث عن سبب الدخان ومصدره – سلوكاً لغوياً متمثلاً في السؤال التالي:

ما الذي يحترق؟!

الاستفهام هنا على معناه الحقيقي في الأصل، والسائل مدفوع بدافع منبثق من الإحساس بمثير قوي (٤٠)، يعده علماء السيمياء علامة هامة من علامات التواصل الإنساني غير اللسانية، هذه العلامة هي حاسة الشم بوصفها مثيرا يفضي إلى التواصل. ولا تعنينا هنا التفاصيل الوظيفية لعملية الشم، وتفسيرها العلمي، ولكن مما لاشك فيه أن للعلامات الشمية (signs olfactifs) أثرا كبيرا في عملية التواصل الذي قد يسبق التواصل اللساني، ذلك أن الإنسان يتواصل بالشم كما يتواصل باللفظ، وأن التواصل بالشم لغة لا تقل عن الكلام وغيره من وسائل البيان؛ فالرائحة تحمل دلالات متباينة، لا يكتم سرها لطبيعتها التلقائية في

---

(٣٨) معجم *المصطلحات اللغوية*، **منير البعلبكي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٤٤٩ و ١٢٣.

(٣٩) *أسس علم النفس*، **نعمة عبدالكريم أحمد**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ١١٩ وما بعدها.

(٤٠) يرى علماء النفس أنه لابد من دراسة سيكولوجية الإحساس لمعرفة قدرة الإنسان على اكتشاف المثير. انظر: *أسس علم النفس العام*، **محمود الزيادي**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١١٧.

الانتشار (٤١). والشم تواصل ذو طبيعة مختلفة عن الطبيعة اللسانية، لأنه يعتمد على منبه حيوي يثير مراكز معينة في الأعصاب الشمية (٤٢).

وهكذا يتبين أن الإثارة الشمية أوجدت الاستفهام السابق، كما يتبين من خلال التحليل النفسي أن السائل بمجرد إحساسه بهذا المثير أدرك أنه خطير فوجد في نفسه انفعالات (٤٣)متداخلة من التوتر والقلق والخوف أدت إلى اضطراب شخصيته نفسياً وجسدياً، وهذا النوع من الانفعال يطلق عليه: الخبرة الشعورية (٤٤). هذه الخبرة الشعورية تؤدي إلى ردود أفعال، قد تكون بدنية، أو تعبيرات خارجية، أو تظهر في شكل تصرفات مختلفة، وكل هذه الاستجابات استجابات متكاملة، تعبر عن نوع الحالة الانفعالية (٤٥) التي أصابت السائل. ولا نحسب أن ردود الفعل هذه تقتصر على السائل وحده، بل إنه يبادر إلى استثارة جميع الحاضرين بهذا السؤال، وهو متوجه إلى البحث عن مصدر الدخان، وبذلك ينقل تلك الانفعالات إليهم بقصد أن يشترك الجميع في اتخاذ المطلوب من السؤال. وهو بهذا القصد ينقل الاستفهام من معناه الحقيقي إلى مقاصد بلاغية أخرى منها: التنبيه والتحذير والتهويل؛ بهدف الإسراع في تدارك الأمر؛ فقد يكون خطيراً. وقد يحمل السؤال السابق معنى التعجب من باب أن رائحة الدخان أمر غريب مستنكر ليس في الحسبان، وقد تتضافر هذه المعاني كلها في تحقيق المطلوب، ويمكن تلخيص ذلك كله في الشكل الآتي:

---

(٤١) *اللغة والحواس*، **محمد كشاش**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٢٢و١٢٣و١٣٠.

(٤٢) *ما هي السيميولوجيا*، **برنارد توسان**، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص ٢١.

(٤٣) يقصد بالانفعال الحالة النفسية التي تنشأ نتيجة مثير مفاجئ وتضطرب خلالها شخصية الإنسان بكاملها"، انظر: *مبادئ علم النفس*، **ليلى داود**، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٧م، ص١٦٧. وانظر: الفصل الخاص بسيكولوجية الانفعالات في كتاب: *الموسوعة النفسية علم النفس في حياتنا اليومية*، **عبدالمنعم الحفني**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ص: ٣٠٩- ٣١٩.

(٤٤) *أسس علم النفس العام*، **محمود الزيادي**، ص٣٣٩.

(٤٥) *مبادئ علم النفس*، **ليلى داود**، ص١٦٧.

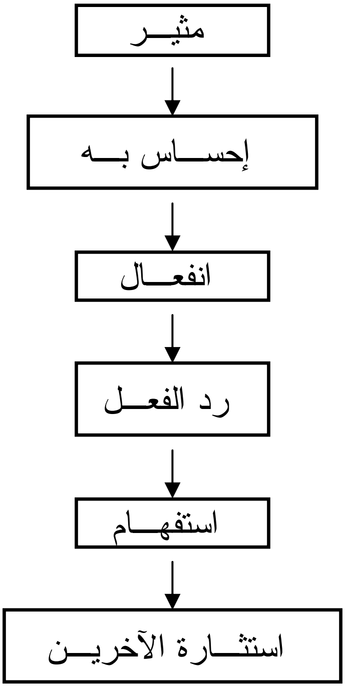

خروج الاستفهام عن أصل معناه – وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا – قضية فصل القول فيها البلاغيون، فذكروا "أن ألفاظ الاستفهام كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام. وذلك إذا امتنع إجراؤها على حقائقها الأصلية بسبب قرائن الأحوال" (٤٦) فيقع الاستفهام بمعنى: الإنكار، والتمني، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والاستبعاد، والاستخفاف، والإيناس، والإياس، والتسهيل، والاسترشاد، والتحضيض، والتكثير، والتبكيت، والتجاهل، والتأكيد والتهكم، والتسوية، والأمر، والعرض، (٤٧) وغيرها من المعاني التي جاوزت اثنين وثلاثين مقصدًا عند بعض البلاغيين (٤٨).

---

(٤٦) *إيضاح الإيضاح*، **جمال الدين محمد بن محمد الآقسرائي**، تحقيق: ميلاد إبراهيم القذافي، دار ومكتبة الشعب، مصراتة، ٢٠٠٣م، ص ٧٧٣.

(٤٧) للتفصيل في خروج الاستفهام عن أصل معناه، انظر: *مفتاح العلوم* **للسكاكي**، ص٣١٤ وما بعدها. *ومختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح* **للخطيب القزويني**، ص٢١، *والمصباح في المعاني والبيان والبديع*، **لبدر الدين بن مالك**، القاهرة، ص٨٥، *والجنى الداني في حروف المعاني*،=

وكل هذه المعاني تحمل شحنات نفسية مختلفة في نوعها، وفي مستوى حدتها، وفي ردود الأفعال تجاهها، وذلك حسب ما يقتضيه المقام، كما أنها كلها ذات صلة وثيقة بالانفعالات الإنسانية الأساسية التي حددها كل من إكمان (Paul Ekman) وفرايزن (Wallace Friesen) في ستة هي: الدهشة (٤٩)، والخوف (٥٠)، والاشمئزاز (٥١)، والغضب (٥٢)، والسعادة، (٥٣)، والحزن (٥٤). وقد وقف ابن الناظم بدر الدين بن مالك على هذه الحقيقة مبينًا أثر السياق في خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي وعبر عنه بـ(ما يناسب المقام) فقال: "ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن استلزم ألا يكون واردًا على الحقيقة، إلا إذا صدر عن شاك مصدق بإمكان الإعلام، ومتى صدر عن عالم بحال المستفهم عنه، أو ممن لا يصدق بإمكان الإعلام به فهو، وإلا بطريق المجاز. وكثيرًا ما يعدى الاستفهام عن مورد الحقيقة إلى ما يناسب المقام ..." (٥٥) وبمثل رأي ابن الناظم يفرق جون لايونز بين الاستفهام الحقيقي وغير الحقيقي، ذاهبا إلى أن

= **للحسن بن قاسم المرادي**، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٤، *ورصف المباني في حروف المعاني*، **أحمد عبد النور المالقي**، تحقيق: أحمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت.)، ص ص: ٤٤-٥٨ *وعلوم البلاغة* **لأحمد مصطفى المراغي**، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م، ص ص: ٦٦-٦٨، *والبلاغة العربية*، **لأحمد مطلوب**، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٠م، ص ص: ٩٤-٩٧. وانظر الفصل الخاص بالاستفهام في:

Lyons, Jhon, *Semantics*, Cambridge University Press, Cambridge, 1977, vol. 2 p. 757-786

(٤٨) *البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها*، **عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني**، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٧٠ وما بعدها. وهي عند السيوطي واحد وثلاثون معنى. انظر: *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٨٧م، ج٣، ص ص: ٢٣٥-٢٤٠.

(٤٩) .*Unmasking the Face*, **Ekman, P., & Friesen, W.,** Inc., New Jersey, 1975, pp: 34-46. Prentice- Hall

(٥٠) نفسه: .PP: 47-65

(٥١) نفسه: .PP: 66-77

(٥٢) نفسه: .PP: 78-98

(٥٣) نفسه: .PP: 98-113

(٥٤) نفسه: .PP: 114-128

(٥٥) *المصباح في المعاني والبيان والبديع*، ص٨٥.

مدار الفصل بينهما يقوم على علم المتكلم بالجواب وجهله به، فاذا كان عالما به كان الاستفهام غير حقيقي، وجرت الجملة مجرى الجمل الخبرية، وإلا كانت استفهاما على الحقيقة (٥٦). وهذا يعني أن تركيب الاستفهام خرج من اللغة المعيارية إلى معيار القبول. وقد وقف بعض العلماء المحدثين على هذا النوع من الاستعمال اللغوي، فهذا أوزجود (Osgood) يذكر في المحاورة التي أجراها معه رايبر(Rieber)– وضمنها الأخير في كتابه محاورات في علم النفس اللغوي والتفكير(٥٧) –أن اللسانيات قد تعزف عن اللغة المعيارية، أو القدرة اللغوية المعيارية إلى معيار القبول، ويضرب مثالا على ذلك السؤال التالي مطروحا على مائدة العشاء: هل يمكنك تمرير الملح إليَّ؟ قائلا: إن معظم الناس يجيبون عن هذا السؤال منفذين الطلب بتمرير الملح، ولكن تخيل الحرج الذي يصيب السائل لو أن المخاطب أجاب: "نعم يمكنني ذلك"، ثم استمر في تناول طعامه دون أن يمرر الملح إلى السائل!

ويقصد أوزجود بهذا أن الاستفهام خرج من حقيقته إلى معنى الطلب والالتماس (٥٨).

وهذا الذي ذكره أوزجود من خروج الاستفهام عن حقيقته إلى معان أخر شائع معروف في العربية، وقف عليها كثير من البلاغيين والنحاة، وعالجوها

---

(٥٦) **Lyons, Jhon**, *Semantics*, vol. 2 p. 754

(٥٧) مضمون الكتاب محاورات مع خمسة من العلماء المعروفين في اللسانيات الحديثة وعلم النفس هم: تشومسكي (Noam Chomsky) و أوزجود (Charles Osgood) و بياجيه (Jean Piaget) ونيسر (Urlic Neisser) و كينبيورن (Marcel Kinbourne).

(٥٨) **Rieber, R.**, *Dialogues on the Psychology of Language and Thought*, Plenum Press, New York & London, 1983, p.73

وانظر للتفصيل عن الاستفهام المجازي في اللغة الإنجليزية فصلا بعنوان: Rhetorical Questions في كتاب:

Pope, E., *Questions and Answers in English*, Mouton The Hague, Paris, 1976, pp: 36-60.

ومبحثا بعنوان: Rhetorical Interrogatives في كتاب:

Bartels, C., *The Intonation of English Statements and Questions*, Grand Publishing, Inc., New York and London, 1999, pp: 252-257.

بالتفصيل كما تقدم. وإنما جرى الاستشهاد برأي أوزجود لبيان أن هذا النوع من مقاصد الاستفهام معروف كذلك في غير العربية.

ولنعرض بعض هذه المعاني التي وقفوا عليها ممثلين لها بجمل نتدبر فيها ما يصاحب الاستفهام من الأعراض السلوكية المختلفة، مع بيان أن معظم أدوات الاستفهام يصلح للتعبير عن هذه المعاني، على خلاف بين النحاة فيها. والهمزة أم الباب، ولها شروط خاصة بها، على النحو الذي سيتبين في التمثيل بالاستفهام التقريري. والذي لا شك فيه أن هذه المعاني كلها لا تفهم إلا في سياقات خاصة (٥٩).

١. الاستفهام الإنكاري

ويقصد به الإنكار أو النفي أو الجحد: أي الإفادة بأن ما بعده غير واقع، وكثيرا ما يأتي بعده الاستثناء، وقد يأتي الإنكار بعد المنفي بأداة من أدوات النفي، وقد يعطف عليه المنفي. وشاع الإنكار بالهمزة وبـ (هل) وقد يحصل بغيرهما كقولك لمن يتهمك بما لم تقله منكرًا عليه اتهامه إياك: متى زعمتُ ذلك؟! فالسؤال هنا ليس عن زمان الزعم أو القول على الحقيقة، وإنما المقصود به إنكاره ونفيه تمامًا. وهذه التهمة لا شك أنها تعد مثيرًا يدفع المتهم إلى الدفاع عن نفسه، فإن كان حاد الطبع فإنه يطرح سؤاله الإنكاري بانفعال شديد، يصحبه رفع في الصوت، وتغيير في النبر، مع إقبال على المخاطب بغضب. وقد يكرر لفظ السؤال هكذا: متى زعمت ذلك؟! متى؟! وهذا السلوك لا تكشفه القواعد النحوية المجردة، ولا الأساليب البلاغية وحدها، وإنما يظهر من تتبعه بالدرس اللغوى النفسى، بتحليل سلوك المتكلم، ومستوى صوته، وحركاته البدنية المصاحبة لكلامه، ومظاهر وجهه المعبرة عن حالاته الانفعالية، وغير ذلك مما لا يدركه غير من شهد الموقف اللغوي، ولاحظ تلك المظاهر بين طرفي

---

(٥٩) *نظرية السياق بين القدماء والمحدثين*، **عبدالنعيم خليل**، ص ١٧٨.

الاتصال، فالانفعالات لا يمكن قياسها بدقة ولا يمكن تسجيل مستوياتها المختلفة بالألفاظ، وإن حاول بعض علماء النفس وضع بعض الضوابط القياسية لها (٦٠).

وقد يجتمع مع الإنكار معان أخر كالتعجب، والتهكم، وإظهار عجز المخاطب، وتكون هذه المعاني كلها منبثقة من الإنكار أصلا، لأن المتكلم قد ينكر متعجبا من أمر غير معتاد، وقد ينكر متهكما على مخاطبه، لإفادة المبالغة في الإنكار، وقد يوقع الاستفهام الإنكاري قاصدا إظهار عجز المخاطب (٦١).

ومن الإنكار قولك: أتهجر أخاك وأنت مؤمن؟ ومثل هذا السؤال يتضمن استفهاما عن النسبة، أي نسبة المسند إلى المسند إليه، ويكون جوابه بنعم أو لا، وذلك للنفي أو الإثبات. وغالبا ما يطرح السؤال بنبرة شديدة مصحوبة بانفعال. ويبدو من هذا المثال وغيره من الأمثلة التي يستشهد بها لاحقا في البحث أن الاستفهام عن النسبة أكثر احتمالا للانفعالات من الاستفهام عن المفرد، كقولك: متى وصلتَ؟ فأنت هنا تعرف نسبة المسند إلى المسند إليه، أي أن وصول المخاطب ثابت لديك، ولكنك تستفهم عن وقت وصوله، والوقت مفرد.

هذا وقد فصل النحاة والبلاغيون في الكلام على الاستفهام عن النسبة وعن المفرد، ولكنهم لم يعنوا بالوقوف على الأثر النفسي في ذلك (٦٢).

٢. الاستفهام للتمني

التمني هو "طلب حصول الشيء سواء كان ممكنًا أو ممتنعًا" (٦٣). وهو من الرغائب النفسية، التي تكمن في باطن النفس، وقد يعبر عنها باللفظ، ومتى ما

---

(٦٠) **Argyle, Michale,** *Social Interaction*, Methuen & Co Ltd., London, p. 111.

Wieman, John & Harrrison (editors), *Nonverbal Interaction*, Sage Publication London, 1983, pp: 247-250.

(٦١) *الاستفهام بين النحاة والبلاغيين*، بحث ماجستير غير منشور، **شيخة خلف الدوسري**، جامعة البحرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٠.

(٦٢) *الكتاب*، **لسيبويه**، ج٣ ص ص: ١٦٩- ١٧٠ و ١٧٥ و ١٧٩ و١٨١، *والإيضاح في علوم البلاغة*، **للخطيب القزويني**، بعناية علي بو ملحم، دارومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م، ص١٣٦.

(٦٣) *التعريفات*، ص ٧٩.

خرجت الرغبة من الباطن الخفي إلى التعبير اللفظي كانت محل دراسة علماء اللغة. وقد يعبر عن التمني بأسلوب مباشر، وقد يعبر عنه بالاستفهام بالهمزة أو بـ(هل) أو بغيرهما وذلك نحو قول التلميذ: هل أنجح؟ هذا سؤال النفس للنفس، يجاذبه التمني بالنجاح والخوف من الفشل. ونجد أن علماء النفس يصنفون الحاجة إلى النجاح ضمن الحاجات النفسية، فهي في نظرهم "رغبة طبيعية يهدف الكائن الحي إلى تحقيقها، بما يؤدي إلى التوازن النفسي والانتظام في الحياة" (٦٤). وهذه الرغبة سلوك مفسر إما بإشباع الحاجات النفسية، أو بالغرائز (٦٥).

وأما الخوف – سواء كان من الفشل أو من غيره – فهو مصنف في الدراسات النفسية ضمن الانفعالات الأولية غير المعقدة (٦٦). وبهذا المعنى يدب الخوف سريعًا إلى نفس السائل الذي يسأل نفسه: هل أنجح؟ وهو يتمنى النجاح. وهو انفعال ناتج عن الشعور بعدم الثقة في تحقيق النجاح؛ لأن الواثق من نجاحه لا يفكر في هذا السؤال؛ لأنه قد يصبو إلى التفوق، وليس مجرد النجاح.

وعلى هذا فالاستفهام هنا مفسر بتداخل الحاجة – إلى تحقيق شيء من رغائب النفس – مع انفعال أوّلي ظاهر في الخوف من الفشل المفضي إلى القلق، وإذا زاد هذا القلق فقد يؤدي بصاحبه إلى مرض نفسي كما يقرره علماء النفس (٦٧).

ومثال استفهام التمني بغير "هل" قولك: من لي بمعلم يعلمني النحو في ساعة؟ فهذه أمنية وإن كانت متعذرة الحصول، لأن التمني لا يشترط فيه إمكان التحقيق.

---

(٦٤) *علم النفس*، **محمد أبو العلا أحمد**، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٢٤.

(٦٥) *المرجع السابق*، ص ١٢٤.

(٦٦) *علم النفس العام*، **صالح الداهري ووهيب الكبيسي**، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد، (د.ت.)، ص١٠٧.

(٦٧) المبحث الخاص بالقلق في كتاب: *الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان*، **إبراهيم فريد الدر**، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٩٨٣م، ص ٢٨٦ وما بعدها.

٣. الاستفهام التقريري

ويقصد به "حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر العلم به" (٦٨). وينتزع الإقرار من المخاطب بالهمزة أو بغيرها من أدوات الاستفهام، فإذا كان بالهمزة اشترط فيها أن يليها المقرر به (٦٩). فلإثبات تقرير الفعل يسأل الأب ابنه – قاصدًا إلجاءه إلى الإقرار – قائلاً: أضربت أخاك؟ ولإثبات تقرير الفاعل يسأله: أأنت ضربت أخاك؟ ولا يبعد أن يكون السائل في مثل هذا التركيب قلقا مضطربا لوقوع شك في نفسه من أن يكون الابن هو الفاعل الذي ضرب أخاه. ولا يتعارض هذا مع كون الضرب حاصلا قد استقر العلم بوقوعه في نفس السائل. وفي تقرير المفعول يلي الهمزة المفعول، فيقول: أأخاك ضربت؟ وهكذا تحمل الهمزة المتكلم على تخير موضعها بحسب قصده، ودرجة انفعاله مما وقع، فإذا كان مشغولا بالفعل متألما منه أدخل الهمزة على الفعل، وإن كان غضبه موجها إلى الفاعل أدخلها على الفاعل، وغيَّر تركيب الجملة من فعلية إلى اسمية، وإن كانت شفقته وعطفه مدفوعين إلى المفعول به أدخلها على المفعول به، وهكذا. وهذا الأسلوب على اختلاف المقرر به، قد يحمل على أنه نوع من الأساليب النفسية؛ لانتزاع الإقرار من المخاطب، وهو كثيرًا ما يعتمد عليه في حالات ظهور أمارات إنكار على المخاطب لأمر وقع. وقد يجتمع عندئذ للاستفهام معنيان معًا: أحدهما على الأصل، وهو أن السائل يطلب العلم بشيء لم يكن معلومًا لديه. والثاني على معنى التقرير كما أسلفنا.

ومما يؤكد المظاهر الانفعالية في هذا النوع من الاستفهام وفي كثير غيره أن السائل يكون متوجها إلى المتلقي مقبلا عليه بلغة مصاحبة لكلامه المنطوق

---

(٦٨) *البلاغة العربية*، **عبدالرحمن حسن حبنكه الميدانى**، ص ٢٧٥.

(٦٩) *الإيضاح في علوم البلاغة* **للخطيب القزويني** بعناية علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م، ص١٣٦.

هي لغة الحركات البدنية، مما يظهر على نظراته، على نحو ما أجمع عليه كل من ستوكو (Stokoe)، وبيلوغي وفيشر (Bellugi and Fsher) وبيكر (Baker) وغيرهم (٧٠). وقد تظهر على المتلقي بعض السمات الانفعالية، وبخاصة إذا كان السؤال التقريري أو غيره محرجا له فيعرض بوجهه عن السائل، وربما لجأ إلى حيلة نفسية ملتفا على السؤال بإجابات غير مباشرة، أو بتغيير الموضوع أو تحوير السؤال (٧١) بما يدفع عنه الحرج والاضطراب.

٤. التعجب

"التعجب استعظام فعل فاعل ظاهر المزية فيه،" (٧٢) أو هو – عند الجرجاني– انفعال النفس عما خفى سببه (٧٣)، فإذا عرف السبب بطل العجب. والانفعال (Emotion) من المصطلحات التي اختلف علماء النفس في تعريفها. وذلك الاختلاف ليس محله هذه الدراسة، ولكن يستوقفنا هنا تعريف آخر للتعجب يفيدنا في ربط الاستفهام بالجانب النفسي وهو أنه: "حالة داخلية تتصف بجوانب معرفية خاصة وإحساسات وردود أفعال فسيولوجية، وسلوك تعبيري معين، ينزع للظهور فجأة ..." (٧٤) والسلوك التعبيري قد يكون حركيًا ظاهرًا في التصرفات أو باديًا على قسمات الوجه، وقد يكون سلوكًا لفظيًا، يعني كلاما، وهذا الكلام متنوع جدا ، ومن أنواعه أن يكون استفهاما، ولنفرض مثلاً أن مدير المدرسة أُعلِم بحصول أحد الطلبة على درجة ممتازة امتيازًا عاليًا في جميع المواد، وهو أمر عظيم عجيب يدعو المدير إلى التعبير عن هذا العجب بعدة

---

(٧٠) **Liddell, Scott,** *Americen Sign Language*, Mouton Publishers- The Hague, Paris- New York, 1980, p.2.

(٧١) *اللغة والسحر*، **فالح شبيب العجمي**، ط١، الرياض ٢٠٠٣م، ص١٩٣.

(٧٢) *شرح ألفية ابن مالك*، **لابن الناظم**، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٣١٣هـ، ص١٧٦.

(٧٣) *التعريفات* **للجرجاني**، ص٧٦.

(٧٤) *علم النفس العام* **للداهري والكبيسي**، ص١٠٤.

أسئلة: من هو؟! ابن من؟! في أي فصل هو؟! كيف حصل على هذه الدرجات؟! فهذه الأسئلة ونحوها استفهامات مدفوعة بانفعال أحدث ردود أفعال إيجابية لدى المدير، فاستفهم متعجبًا من شأن الطالب أكثر من كونه طالبًا حصول العلم بمعرفته، ومعرفة أبيه، وفصله، وكيفية تحقيقه تلك الدرجة؛ ذلك أن الإحساس بالمثير هنا يحدث انفعالاً تعجبيًا يطغى على مجرد طلب العلم بما لا يعرفه السائل، وإن كان الاستفهام على الحقيقة غير ممتنع هنا.

ولا يقتصر الاستفهام التعجبي على "من"، وإنما يقع بكيف وبالهمزة وبـ(هل) وبغيرها.

٥. التقريع

التقريع يحمل معنى توجيه اللوم الشديد والعتاب الموجع على خطأ أو سوء تصرف، أى أنه رد فعل لسلوك خاطئ. والتقريع لغة: التعنيف والتثريب. وقرَّع القومَ تقريعاً: أقلقهم (٧٥)، أي أن المتكلم بالاستفهام التقريعي يقصد إقلاق المخاطب على حدث واقع منه يستحق عليه الغضب. والقلق انفعال عند علماء النفس (٧٦) ويظهر هذا الانفعال واضحا على السائل في الاستفهام التقريعي؛ لأنه غالبا ما يكون غاضبا مدفوعا إلى إفراغ الشحنة الانفعالية من غضبه في نفس المخاطب، وبهذا المعنى يشمل الانفعال كليهما، وإن كان لدى المتكلم أشد بكثير منه لدى المخاطَب.

وهذه المعاني كلها تكمن فيها شحنات انفعالية شديدة تطغى على شعور المتكلم السائل، فتحرك في نفسه انفعالاً عظيمًا، يكون بمثابة مثير قوي يستجيب له بتعبير استفهامي تقريعي، فلو أنني كنت قد رتبت أوراقي على المكتب بطريقة ما، ثم دخلت وفوجئت بأخي وقد غير الترتيب بطريقة تصعب عليَّ

---

(٧٥) *القاموس المحيط* (قرع).

(٧٦) *أصول علم النفس*، **عبدالحميد الهاشمي**، ص ٣٠١.

إعادة ترتيبها، فإن رد فعلي يكون بتوجيه لوم شديد إليه هكذا: من قال لك أن تلمس الأوراق؟ وبأي حق غيرت ترتيبها؟! ولغة التخاطب في مثل هذه المواقف يسيطر عليها شدة الغضب وقوة الانفعال، ويرتفع فيها الصوت، وتزداد حدة التوتر لدى موجّه التقريع. هذا الانفعال سلوك يقوى ويعظم إذا واجهه "عائق يحول دون سيره الطبيعي؛ لأن حدة الانفعال تزداد إذا لم يشبع الكائن الحي نشاطه بالطريقة التي يراها" (٧٧) ولذلك يكون سكوت المخاطب تعبيرا عن رد فعله إن كان مخطئا؛ لكي لا يحول دون إشباع حاجة السائل إلى التخلص من غضبه، كما يراه علماء النفس (٧٨) فالتقريع في مثل هذا الموقف مصحوب بالغضب، وهذا الغضب تنخفض حدته، ويزول بعد أن يعرب موجه السؤال عما في نفسه بالأسلوب الاستفهامي السابق.

ولا يختص التقريع بأداة معينة من أدوات الاستفهام، فمعظمها يصلح للتقريع في سياقات خاصة.

٦. التهديد

وهو سلوك لا يقع في الأصل إلا من غاضب موجّه بسلوك الغضب لإيقاع أثر نفسي يُحدث مثيرًا لدى السامع، يدفعه إلى الامتناع عن أمر ما، كما لو أردت أن تحمل من دونك على ترك الكذب عليك، فتقول: أتعرف مصير أخيك الذي كذب عليّ؟ وهو سؤال أخفِي فيه عن المخاطب علمه بمصير الكاذب بقصد التهديد. ولا ريب أن السائل المتوعِّد يكون غاضبًا. والانفعال المصحوب بهذا الانفعال القوي بليغ الأثر في الكشف عن مقصد التهديد وقت السؤال. والغضب هنا متفاوت في درجاته ابتداء من مجرد استياء إلى أشد حالات الانفعال؛ وذلك

---

(٧٧) *علم النفس*، **محمد أبو العلا أحمد**، ص١٣٥.

(٧٨) *المرجع السابق*، ص ١٣٥.

وفقا لما يفرضه السياق والمقام، فإن كان التهديد صادرا من شخص أعلى إلى من هو دونه، فيكون الغضب أشد (كالأب مع ابنه مثلا)، وإن كان من شخص إلى آخر مكافئ له فيكون التعبير عن الغضب في شكل إنكار واستياء (كالصديق مع صديقه) وهكذا.

والغضب في مثل هذه المعاني ليس مقصورا على موجه السؤال، بل ينتقل إلى المتلقي حال استيعابه مقصد الاستفهام؛ لأن" الغضب استجابة عاطفية طبيعية تظهر لمساعدتنا على التكيف مع التهديد والأذى والعنف والإحباط"(٧٩).

وبهذا المعنى الانفعالي قد يشترك الطرفان السائل والمسؤول في هذه الاستجابة العاطفية، فالسائل يغضب لما وقع عليه من ضرر، والمسؤول يغضب لما أصابه من تهديد ووعيد. وهذا هو الشأن في طبيعة السلوك الانفعالي في الاستفهام بمعان أخرى غير التهديد والوعيد، على نحو ما تبين في التوبيخ والتقريع، وكما يظهر في التخويف والذم وغير ذلك مما قد يشترك فيه الطرفان في الاستجابة إلى المثيرات المفضية إلى الانفعال.

ويقع التهديد بالهمزة أو بغيرها من أدوات الاستفهام، ولكن أكثر وقوعه في القرآن الكريم بالهمزة وبـ (هل) كما في قوله تعالى: (أَلَمْ نُهْلِكِ الأوّلين) (٨٠) وقوله تعالى:(فهل ينتظرون إلا مِثْلِ أيّام الّذينَ خَلَوا مِنْ قَبْلِهِمْ)(٨١).

٧. التخويف

وهو مقصد استفهامي قريب من المعنى السابق؛ لأنه يراد منه التحذير من أمر عظيم ليتجنبه السامع، نحو قولك لمن يقوم بمغامرة خطيرة: ما يدريك أنك تنجو من الموت؟ فأنت بهذا الاستفهام تعظم شيئًا مخيفًا مهولاً، ليكون دافعًا مؤثرًا يدفع المخاطب إلى ترك المغامرة، وذلك أوقع في نفسه من أسلوب الأمر

---

(٧٩) *إدارة الغضب*، **جيل لندنفيلد**، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٤م، ص١٣، ١٥.

(٨٠) سورة المرسلات، الآية ١٦.

(٨١) سورة يونس، الآية ١٠٢.

العادي، الذي تعبر عنه بقولك: دعْ عنك المغامرة؛ فإنها خطيرة. وعندما يقصد بالاستفهام التخويف، فإن التحليل النفسي للخوف- بوصفه دافعا انفعاليا- يقتضي الوقوف على أثر هذا الدافع على المتلقي، فهو دافع يستثير فيه انفعالا يختلف في قوته وضعفه بحسب محتوى السؤال، وبحسب طبيعة الشخص، كما يقرره علماء النفس من خلال تجاربهم العديدة في قياس الانفعال بسبب الخوف (٨٢).

وإذا شعر الإنسان بالخوف، فإن ثمة تغيرات تعتريه إذ "يأمر الشعبة الادرينالينية من الجهاز العصبي المستقل بإرسال نبضات عصبية إلى غدة الكظر (المجاورة للكلى) فيفرز جوفها هرمون الأدرينالين الذي يهيمن إذا كانت عاطفة الخوف مهيمنة " (٨٣). وعمل الأدرينالين هو إعداد الجسم للمواجهة فيتسع بؤبؤ العين، وينتصب الشعر، ويتخثر الدم بسرعة... ويتسع الصدر وأوعية القصبة الهوائية، ويتحول الدم إلى الأطراف، ويخف في الأحشاء والجلد فيصفر" (٨٤). فهذه كلها أعراض ناتجة من الخوف.

والتهويل والتخويف مقصدان متقاربان، ومثلهما التفخيم، قال السهيلي في تحليله وقوع (أي) نعتا لما قبلها في نحو(مررت برجل أي رجل):" فإنما تدرجت من الصفة إلى الاستفهام، كأن الأصل أيُّ رجل ؟ على الاستفهام الذي يراد به التفخيم والتهويل، وإنما دخله التفخيم لأنهم يريدون إظهار العجز والإحاطة بوصفه، فكأنه مما يستفهم عنه إذ يجهل كنهه، فأدخلوه في باب الاستفهام" (٨٥).

٨. التحسر والتوجع

مصطلحان لهما دلالة نفسية واضحة. والثاني منهما نتيجة للأول، أي أن الإنسان يتحسر على شيء فاته، أو أخطأ فيه، أو على مكروه أصابه، فيندم عليه

---

(٨٢) *الدافعية والانفعال*، **إدوارد موراي**، ترجمة أحمد عبدالعزيز سلامة ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ص: ١١١-١١٢.

(٨٣) *الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان*، **إبراهيم فريد الدر**، منشورات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ص١١٣.

(٨٤) نقلا بتصرف من: *الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان*، ص١١٣.

(٨٥) *نتائج الفكر*، **لأبي القاسم السهيلي**، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٤م، ص ص: ٢٠١-٢٠٢.

فيشعر بالألم، وهو شعور يصنف في باب الدوافع، بل هو من الدوافع المهمة"(٨٦). والتعبير عن هذا الشعور بالاستفهام يكون أوقع أثرا، وذلك كمن يريد بيع عقار فينصح بالتريث في البيع؛ لتوقع ارتفاع الأسعار فيستعجل بالبيع، ثم يرتفع السعر ارتفاعا كبيرا، فيقول نادما: أحقٌّ أنني بعت البيت بذلك السعر؟ فيأسف على استعجاله ويتحسر ويتوجع معبرا عن هذا الشعور بالاستفهام السابق.

وتصلح الهمزة للتعبير عن التحسر ويصلح غيرها من أدوات الاستفهام.

٩. المدح

ومثاله الثناء على رسالة كتبت بخط جميل منمق تقول عنها مادحًا لا سائلاً: كيف خطت هذه الرسالة ؟ وهذا الاستفهام ليس وراءه نوازع نفسية وانفعالات شديدة. ولكن يكمن فيه الشعور بالإعجاب الذي يدفع القائل إلى إظهار انطباعاته بمدح الرسالة وكاتبها.

ولا يخفى ما للمدح من أثر إيجابي في السلوك البشري؛ ولذلك صنفه علماء النفس مكونًا مرحليًا من مكونات تطور معايير السلوك الخلقي التي تميز التكوين النفسي للمفاهيم والقيم الخلقية لدى الإنسان (٨٧). وللمدح أثر إيجابي، فأنت عندما تثني على جمال الخط وحسن ترتيبه، تجد كاتبه – غالبًا ما – يشعر بالسرور والفخر والرضا عن نفسه وعن مكانته في مجتمعه، "ويصبح الاستحسان والمدح [عندئذ] باعثًا قويًا في إثارة الدوافع وحسن توجيهها نحو الخير"(٨٨) والنأي بها عن الشر.

---

(٨٦) *علم النفس في الحياة العملية*، **كارل برنهارت**، ترجمة إبراهيم عبدالله محيي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م، ص ٤٨.

(٨٧) *أصول علم النفس العام*، **عبدالحميد الهاشمي**، ص١٥٢.

(٨٨) *المرجع السابق*، ص١٥٤.

والمدح في الدرس النحوي من الأساليب الشائعة. والتركيب في الجملة السابقة أسلوب مدح غير قياسي؛ ويعرف هذا النوع من المدح من خلال القرائن خلافًا للمدح القياسى الذي يصاغ غالباً من الفعلين "نعم" أو "حبذا" ، وهما فعلان موضوعان للمدح العام (٨٩).

وبضد المدح تقف عدة أنواع من السلوك السلبي منها: الذم والتهكم والسخرية، والتحقير والاستهانة، واللوم والعتاب وغيرها. وهذه الأنواع كلها نجدها متمثلة نوعًا نوعًا في معاني الاستفهام، مما يعكس أثر السلوك الخلقي في السلوك اللغوي بوضوح. وهذه الأنواع من السلوك السلبي سواء كانت في الاستفهام أم في غيره، كثيرا ما تصدر عن شعور بالنقص، كما يرى علماء النفس، وإذا صح هذا التحليل النفسي، فإنه يدل على مرض باطني مستقر في نفس المتكلم فيما يعرف بالإسقاط، وهو:" عملية هجوم لاشعورية يحمي بها الفرد نفسه بإلصاق عيوبه ونقائصه على الآخرين..كما أنها عملية لوم الآخرين على ما فشل هو فيه بسبب ما يصنعونه أمامه من عقبات، وما يوقعونه من زلات أو أخطاء؛ وذلك بقصد تنزيه نفسه، وتخفيفا لما يشعر به من قلق" (٩٠) وقديما قال المتنبي:

وإذا أتتك مَذمّتي مِنْ ناقِصٍ فَهي الشهادَةُ لي بأني كامِل

ولكن هذا وجه من تفسير هذا السلوك، وأما الوجه الآخر فهو صدوره من إنسان سوي لأسباب متعددة كالمحاسبة على الخطأ، وإشعار الطرف الآخر بعدم الرضا وغير ذلك.

---

(٨٩) انظر تفصيله في: *شرح الكافية* **للرضى الأستراباذي**، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، ١٩٧٨م، ج ٤ ص ٢٣٧ وما بعدها. *وشرح المفصل* **لابن يعيش**، عالم الكتب، بيروت، (د.ت.)، ج ٧، ص١٢٧ وما بعدها. *وشرح التسهيل*، **لابن مالك**، تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٠م، ج ٣، ص٥ وما بعدها.

(٩٠) *العلوم السلوكية*، **نبيلة عباس الشوربجي وعفاف عبدالفادي دانيال**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٩. وانظر: *العلوم السلوكية*، **حسن محمد خير الدين**، (د.ت.) القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٢٨.

ويرتبط بهذا السلوك السلبي نوع آخر من الاستفهام معروف في أوساط الناس بالأسئلة الاستفزازية، وهي أسئلة لا يقصد بها الاستفهام على حقيقته وإنما توجه إلى المتلقي بقصد استثارة انفعالاته بتحقيق أهداف يتعمد السائل في تحصيلها. وكثيرا ما يقع هذا النوع بعدة أسئلة متوالية، ولها سياقها الخاص ونبرتها الخاصة في النطق.

وتصعب معرفة الخبايا النفسية في فؤاد المتكلم السائل، ولكن السياق غالبا ما يكشف عن المراد، ويعول عليه كثيرا في التحليل النفسي للجملة الاستفهامية المتضمنة سلوكا سلبيا، فمثلا يقول أحد الطلبة لزميله الذي قدم الواجب إلى الأستاذ بخط قبيح: (أبهذا الخط البديع قدمت الواجب؟)، فالاستفهام هنا يراد به الاستهزاء والتهكم والسخرية؛ لبيان خطأ مسلكي، وإشعار المخاطب بعدم الرضا عن صنيعه، وليس بالضرورة صادرا عن مرض الإسقاط، كما أسلف بيانه، وإن لم يكن ذلك مستبعدا، إذا وجد في السياق ما يشير إلى أن المتكلم أصلا قبيح الخط يُلصق- لاشعوريا- عيوبه بزميله.

هذه المعاني الكثيرة التي تحمل جوانب نفسية شتى، كثيرة الورود في أسلوب الاستفهام.

على أن الاستفهام قد يخرج إلى معان أخرى تكاد تكون خالية من الانفعالات، أو يبدو فيها الجانب الانفعالى، ضعيفا كما يظهر في معانى: العرض والتسوية والترغيب والتكثير والأمر وغيرها من المقاصد المختلفة.

(١) العرض

وفيه استفهام بتلطف الاستجابة إلى أمر محمود كقولك لصديق: (ما رأيك في أن نقوم برحلة بحرية؟) ونحو قولك لآخر: (ألا تشترى هذا الكتاب القيّم؟) وهو استفهام يغلب عليه تحقيق رغبة نفسية مسلية وحسب.

(٢) التسوية

نحو (سواء عليَّ أسرعت أم لم تسرع في مشيك؟) وهذا نوع من الاستفهام فيه عدم مبالاة السائل بمخاطَبه.

(٣) الترغيب

كقولك: (من يريد أجرًا بمساعدة المحتاج؟) ويظهر في هذا السؤال تحفيز المخاطب بمثير – وهو الأجر – يكون بمثابة دافع له يرغبه فى الاستجابة إلى مساعدة المحتاج، وتحقيق هذه المساعدة هو الغرض الحقيقى من الاستفهام.

(٤) التكثير

وأداته – غالبًا – كم الخبرية التي تخرج عن معنى السؤال الحقيقي إلى الدلالة على الكثرة نحو: (كم من كتاب قرأته فنفعني؟). وذهب الجرجاني إلى أن (كم) لا يتجرد من معنى الكثرة، فإن قلت: كم رجلا جاءك؟ فهو سؤال عن كثرة؛ لأن المعنى: أعشرون رجلا جاءك أم ثلاثون؟ ومن أجل التمييز بين الخبر والاستفهام نصبوا مميزها في الاستفهام وألزموها النكرة المفردة (٩١). ومن دلالة (كم) على التكثير قولك: الدنيا عجيب أمرها، كم عزيزًا أذلته؟ وكم ذليلا رفعته؟ وكم عالما أهملته؟ وكم جاهلا أكرمته؟ فهذا كله ليس سؤالا عن العدد، وإنما هو بيان للكثرة.

(٥) الأمر

"وهو وظيفة وضعت لطلب فعل، أو طلب بها فعل، بأداة على وجه الاستعلاء" (٩٢)، نحو: (ألم تغادر بعد؟) لمن رأيته ماكثًا بعد أن أمرته بالمغادرة. وقولك: (هل تغلق الباب؟) قد يكون صيغة مهذبة للأمر، ولا يقصد به السؤال.

---

(٩١) بتصرف من: *المقتصد في شرح الإيضاح*، **لعبدالقاهر الجرجاني**، تحقيق كاظم بحر العلوم، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،١٩٨٢م، ج٢ص٧٤٤، وانظر تفاصيل الكلام على (كم) الاستفامية والخبرية في:*كتاب سيبويه*، ج٢، ص ص: ١٥٦- ١٦٩.

(٩٢) *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*، **محمد علي الجرجاني**، تحقيق عبدالقادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١١٦.

وهذا كله يكشف لنا أن الاستفهام قد يصدر لمجرد سؤال يخلو من العواطف والانفعالات لأن الغرض منه العلم بأمر لا يعرفه السائل وحسب . وهذا هو المعنى الحقيقى للاستفهام كما تقدم.

والخلاصة أن السلوك الانفعالي ظاهر بجلاء في أسلوب الاستفهام في العربية، وبخاصة حين يراد به غير معناه الحقيقي. ولا بد من الاعتماد على علم اللغة النفسي لتفسير الجوانب الانفعالية في اللغة، سواء في باب الاستفهام أم غيره من الأبواب النحوية؛ إذ لا يكمل حضور المعنى بمجرد تركيب الكلام تركيبا نحويا سليما؛ لأن القواعد النحوية لا تكشف عن المشاعر والعواطف والانفعالات الكامنة فى نفس المتكلم.

المراجع

أولاً: المراجع العربية والمترجمة

أحمد، محمد أبو العلا (١٩٨٤م) *علم النفس*، مكتبة عين شمس، القاهرة.

أحمد، نعمة عبدالكريم (١٩٩٢م) *أسس علم النفس*، دار الفكر الجامعي الاسكندرية.

الأستراباذي، الرضى (١٩٧٨م) *شرح الكافية*، تح. يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا.

استيتية، سمير (١٩٩٥م) *الشرط والاستفهام في الأساليب العربية*، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي.

الآقسرائي، جمال الدين محمد بن محمد (٢٠٠٣م) *إيضاح الإيضاح*، تحقيق ميلاد إبراهيم القذافي، دار ومكتبة الشعب، مصراتة.

الأوسي، قيس إسماعيل (١٩٨٨م) *أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين*، وزارة التعليم العالي، بغداد.

برنهارت، كارل (١٩٦٧م) *علم النفس في الحياة العملية*، ترجمة إبراهيم عبدالله محي، مطبعة العاني، بغداد.

البعلبكي، رمزي (١٩٩٠م) معجم *المصطلحات اللغوية*، دار العلم للملايين، بيروت.

توسان، برنارد (١٩٩٤م) *ما هي السيميولوجيا*، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

الجرجاني، عبدالقاهر (د.ت.) *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٨٢م) *المقتصد في شرح الإيضاح، تح. كاظم بحر العلوم، وزارة الثقافة والإعلام*، بغداد.

الجرجاني، علي بن محمد (١٩٩١م) *التعريفات*، ضبطه محمد عبدالحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة.

الجرجاني، محمد علي (١٩٨٢م) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

جمعة، حسين (٢٠٠٥م) *جمالية الخبر والإنشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

أبو جناح، صاحب (١٩٩٨م) *دراسات في نظريات النحو العربي وتطبيقاته*، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان.

جيل، لندنفيلد (٢٠٠٤م) *إدارة الغضب*، مكتبة جرير، الرياض.

الحفني، عبدالمنعم (١٩٩٥م) *الموسوعة النفسية علم النفس في حياتنا اليومية*، مكتبة مدبولي، القاهرة.

خير الدين، حسن محمد (١٩٧٦م) *العلوم السلوكية*، (د.ن.)، القاهرة.

خليل، عبدالنعيم (٢٠٠٧م) *نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية*، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

الداهري، صالح، والكبيسي، وهيب (د.ت) *علم النفس العام*، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد.

داود، ليلى (١٩٩٧م) *مبادئ علم النفس*، منشورات جامعة دمشق.

دراز، صباح عبيد (١٩٨٦م) *الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم*، مطبعة الأمانة، القاهرة.

الدر، إبراهيم فريد (١٩٨٣م) *الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان*، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الدوسري، شيخة خلف (٢٠٠٢م) *الاستفهام بين النحاة والبلاغيين*، بحث ماجستير غير منشور، من إعداد، جامعة البحرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

الزيادي، محمود (١٩٧٢م) *أسس علم النفس العام*، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة.

السكري، الحسن بن الحسين (د.ت.) *شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة* القاهرة.

السكاكي (١٩٨٣م) *مفتاح العلوم*، دار الكتب العلمية، بيروت.

السهيلي، أبو القاسم (١٩٨٤م) نتائج الفكر، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض.

السيوطي، جلال الدين (١٩٨٧م) *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

الشاوش، محمد (٢٠٠٢م) *أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية*، جامعة منوبة، تونس.

الشوربجي، نبيلة عباس و دانيال، عفاف عبدالفادي (٢٠٠١م) *العلوم السلوكية*، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

صالح، أحمد زكي (د.ت.) *علم النفس التربوي*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الطلحي، ردة الله (١٣٢٤هـ) *دلالة السياق* جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

العبادي، عدي بن زيد (١٩٩٥م) *ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد*، بغداد.

العبد، محمد (١٩٩٠م) *اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بحث في النظرية، دار الفكر للدراسات والنشر*، القاهرة.

عبدالغفار، السيد (٢٠٠٤م) *الكلمة العربية كتابتها ونطقها*، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

عبدالفتاح، نازك إبراهيم (٢٠٠٢م) مشكلات *اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي*، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

عتيق، عبدالعزيز (١٩٧٤م) *علم المعاني*، دار النهضة العربية، بيروت.

العجمي، فالح شبيب (٢٠٠٣م) *اللغة والسحر*، ط١، الرياض.

عمايرة، خليل (١٩٨٧م) *في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي*، مكتبة المنار، الزرقاء.

الفراء، يحيى بن زياد (١٩٨٠م) *معاني القرآن*، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

فولفجانج هاينه من، و ديتر فهفيجر (١٩٩٩م) *مدخل إلى علم اللغة النصي*ترجمة فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (١٩٨٧م) *القاموس المحيط*، مؤسسة الرسالة، دمشق.

القزويني، الخطيب (١٩٩١م) *الإيضاح في علوم البلاغة*، بعناية علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

القزويني، الخطيب (١٣٤٧هـ) *مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح*، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة.

ابن قميئة، عمرو (١٩٦٥م) *ديوان عمرو بن قميئة*، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

***كشاش*، محمد** (٢٠٠١م) *اللغة والحواس*، المكتبة العصرية، بيروت.

الكناني، ممدوح، والكندري، أحمد (١٩٩٢م) *سيكولوجية التعلم وأنماط التعليم*، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت.

المالقي، أحمد عبد النور (د.ت.) *رصف المباني في حروف المعاني*، تحقيق أحمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق.

ابن مالك، محمد بن عبدالله (١٩٨٠م) *شرح التسهيل*، تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة.

المبرد، محمد بن يزيد (١٣٨٦هـ) *المقتضب*، تحقيق محمد *عبدالخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة.*

المدني، علي محمد نور (١٩٩٩م) البدل في الجملة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، *مجلة مجمع اللغة العربية*، القاهرة، **العدد ٨٦**، نوفمبر.

المدني، علي محمد نور (٢٠٠٥م) *الجانب النفسي في حذف عامل المفعول به*، *مجلة الدراسات اللغوية*، المجلد **السابع**، العدد الثالث، أغسطس- أكتوبر.

المرادي، الحسن بن قاسم (١٩٩٢م) *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق *فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت.*

المراغي، أحمد مصطفى (١٩٨٠م) *علوم البلاغة*، دار القلم، بيروت.

مركز البحوث التربوية (١٩٨٩م) *آراء الطلبة والطالبات حول الاتصال اللغوي داخل مجتمع جامعة قطر*، جامعة قطر، الدوحة.

مطلوب، أحمد (١٩٨٠م) *البلاغة العربية*، وزارة التعليم العالي، بغداد.

منصور، عبد المجيد سيد أحمد (١٩٨٢م) *علم اللغة النفسي*، جامعة الملك سعود، الرياض.

موراي، إدوارد (١٩٨٨م) *الدافعية والانفعال*، ترجمة أحمد عبدالعزيز سلامة ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة.

أبوموسى، محمد (١٩٧٩م) *دلالات التراكيب*، مكتبة وهبة، القاهرة.

الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة (١٩٩٦م) *البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها* دار القلم، دمشق.

ابن الناظم، عبدالله بن محمد (١٣١٣هـ) *شرح ألفية ابن مالك*، انتشارات ناصر خسرو، طهران.

ابن الناظم، عبدالله بن محمد (١٩٨٩م) *المصباح في المعاني والبيان والبديع*، تحقيق حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

هارون، عبدالسلام محمد (١٩٧٢م) *الأساليب الإنشائية في النحو العربي*، مكتبة الخانجي القاهرة.

الهاشمي، عبدالحميد (٢٠٠٢م) *أصول علم النفس العام*، دار الشروق، جدة.

ابن يعيش، موفق الدين (د.ت.) *شرح المفصل*، عالم الكتب، بيروت.

يوسف، حسني عبدالجليل (١٩٩٠م) *أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

Argyle, M. (1967) *Social Interaction*, Methuen & Co Ltd., London.

Auer, P. and **Aldo, D.** (1992) *The Contextualization of Language*, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam / Philadelphia.

Bartels, C. (1999) *The Intonation of English Statements and Questions*, Grand Publishing, Inc., New York and London.

Carrol, D. (1986) *Psychology of Language*, Wadworth, Inc.,.

Clark, H. and **Clark, E.** (1977) *Psychology and Language an Introduction to Psycholinguistics*, Harcourt Brace Govanovich, Inc., New Work.

Ekman, P. and **Friesen, W**. (1975) *Unmasking the Face*, Prentice - Hall Inc., New Jersey.

Gleason, H. (1975) *The Process of Communication an Introduction to Descriptive Linguistics*, Holt, Rinehart & Winston, London - New York.

Gross, S. (2001) *Essays on Linguistic Context-Sensitivity and Its philosophical Significance*, Routledge, New York & London.

Lyddell, S. (1980) *American Sing Language*, Mouton Publishers.

Lyons, J. (1980) *Linguistic Semantics An Introduction*, Cambridge University Press, Cambridge, 1995. The Hague, Paris- New York.

Lyons, J. (1977) *Semantics, Cambridge University Press, Cambridge*.

Key, M., (ed.), (1980) *The Relationship of Verbal and Nonverbal Communication*, Mouton Publishers and The Hague, Paris & New York.

Pope, E. (1976) *Questions and Answers in English*, Mouton The Hague, Paris.

Rieber, R. (1983) *Dialogues on the Psychology of Language and Thought*, Plenum Press, New York & London.

Wieman, J. and **Harrrison** (ed.), (1983) *Nonverbal Interaction*, Sage Publication, London.

http://www.awu-dam.org/book/index-study.htm.

http://www.wikipedia.org/qusetion.

The Emotional Behavior in Questions
A Psycholinguistic Analysis

A.M.N. Al-Madany

Department of Language Arabic and Islamic Studies, Faculty of Arts,
Al-Bahrain University, Al-Bahrain

Abstract. This research focuses on an area highly neglected by researchers. It tends to link between Arabic syntactic forms and psychology (psycholinguistics). The form of the *Question* is employed to demonstrate the psychological aspect which is revealed by both the speaker and receiver during conversation.

The analysis of *Question* indications is based on the theory of input and output presented by behaviorists taking into consideration the feelings of both the speaker and receiver and their psychological state. This becomes obvious by a full insight of the factors in which comprehension is achieved *i.e.* Context analysis, knowing the personality of both the speaker and the receiver, the conversation background, the purpose of the conversation and the mental aspect of language use.

Due to the frequent use of rhetorical language, which requires strong physiological emotions, in *Questions* the research finds that this form strongly reveals psychological input.

The rhetorical emotions discussed in this research are: negation, aspiration, fixation (determination), exaggeration, rebuking, threatening, intimidation, regression, acing and all agitations that result from the six basic human emotions: astonishment, fear, wrath, repugnance, happiness and sorrow.

The previous aspects cannot be analyzed without the use of psycholinguistics. Thus the researcher followed this method and successfully achieved the research's aim and purposes of emotional behavior in *Questions*.